لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

٢٢

٣٦١ - الإشارة في البشارة — لابن الصلاح

٣٦٢ - ثلاث رسائل لعلامة الشام جمال الدين القاسمي

٣٦٣ - جزء فيه أحاديث أبي داود الطيالسي

٣٦٤ - ثلاثة مجالس من أمالي الحافظ أبي نعيم الأصبهاني

٣٦٥ - الفوائد الصحاح العوالي ... — لأبي يعلى الفراء

٣٦٦ - جزء الحافظ ابن السمرقندي

٣٦٧ - جزء من عوالي المرويات — لابن قطلوبغا

٣٦٨ - مجموع فيه: ذكر مشايخ الإمام ابن العطار، وفتاويه، ورواية لقصيدة السجستاني

٣٦٩ - العشرة العشارية الإسناد — لسبط ابن حجر

٣٧٠ - جزء تخريج حديث الشتاء، ويليه: إرشاد النقي إلى أحاديث الشتا — لابن عبد الهادي

٣٧١ - الدر المرقوم في حديث أصحابي كالنجوم — لإدريس العراقي

٣٧٢ - مشكاة الاستنارة في معنى حديث الاستخارة — لعبد البر الفيومي

٣٧٣ - شفاء العي في رد الاستدراك على الشافعي — للكمال ابن أبي شريف

٣٧٤ - حاشية لطيفة على الغاية — للسفاريني

٣٧٥ - مسألة في حكم السجود للسهو ... — لابن قاضي عجلون

٣٧٦ - الجوهرة الزهراء في إلحاق الفاسق بسجد ... — لمحمد خليل

٣٧٧ - ذخيرة الناظر في تكفير الحج للتبعات ... — لابن بيري

٣٧٨ - مختصر عقد الجمان ... — للشلبي

٣٧٩ - فتوى في رجل عليه ديون ... — لمحمد عابد

٣٨٠ - الإمام ابن تيمية الحراني — لشبلي النعماني

دار البشائر الإسلامية

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٨٠)

الإمام ابن تيمية الحراني

مجدد القرن

العلامة شبلي النعماني
(١٨٥٧-١٩١٤م)

نقله من الأردية إلى العربية واعتنى به
الدكتور محمد أكرم الندوي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً، وإن الدار ليست مسؤولة عن ما ورد في الكتاب أو ما شابه

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٩٦١١/٧٠٢٨٥٧.. فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

البشائر الإسلامية

ISBN 978-614-437-843-4
9 786144 378434

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، القائل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، القائل: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ) من الأئمة المصلحين الثقات، والعلماء الأفذاذ الأثبات، بذل حياته في الدعوة إلى الدين القويم، وتعليم سنن سيد المرسلين، نافيًا عن الملة الحنيفية البيضاء تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ومجاهدًا في سبيل الله جهادًا ثبَّت دعائم الإسلام وأركانه، فانتفع به خلق الله تعالى تائبين إليه منيبين، ومصلحين نفوسهم ومزكين، وعاداه أهل الزيغ والضلال، والبدعة والفساد، فنصره الله تعالى عليهم ورفع مقامه وأعلى شأنه، وأحبه العلماء الصالحون، والعامة من المسلمين.

وبالغ مخالفوه في الدعاية ضده وتشويه صورته وتمويه أفكاره، وكان على رأسهم المنحرفون من الصوفية والطُّرُقيين، والمتعصبون من أصحاب العقائد الكلامية والمذاهب الفقهية، وتأثر بدعايتهم عامة علماء الهند إلا العدد القليل من أمثال كوكب الديار الهندية الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

ولم يطَّلع العلَّامة شبلي النعماني على مؤلفات الإمام ابن تيمية وإنجازاته إلا في آخر حياته، فكتب مقالًا رائعًا في الإشادة بفضله ومكانته التجديدية في مجلة «الندوة» الصادرة في دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ، وكان بمثابة نقطة تحول في موقف الهند من هذا الإمام الرباني، ومنذ ذلك الوقت أقبل العلماء والمفكرون في دراسة كتب ابن تيمية وأفكاره، وبدأت دائرة نفوذه تتوسع، حتى جاء المفكر الإسلامي العلامة الشريف أبو الحسن علي الندوي، فألف مجلداً في حياته ومآثره وآثاره كجزء لسلسلته الشهيرة «رجال الفكر والدعوة».

ونظراً إلى الدور الكبير الذي لعبه هذا المقال في حياة الهند العلمية والفكرية قمت بنقله إلى اللغة العربية، ومراجعة نصوصه وتحقيقها من مصادرها الأصيلة، والتعليق على مواضع اقتضت مزيد شرح وبيان.

وقدمت ترجمة موجزة للعلامة شبلي النعماني وبيان إسهاماته في علم الكلام وتاريخه، مع عرض لتأثير ابن تيمية في الهند منذ البداية إلى عهد شبلي.

وأدعو الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وينفع به، والحمد له أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

ترجمة شبلي[1]

هو علَّامة الهند الجليل، المؤرخ العظيم، المتكلِّم الكبير، المحقق البارع الضليع، الأديب المنشئ، الكاتب القدير، محمد شبلي بن الشيخ حبيب الله، البندولي مولدًا ومنشأ، والنعماني مذهبًا.

* **ولد** في التاسع من شوال سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة، الموافق للثاني من شهر يونيو سنة سبع وخمسين وثمان مائة وألف من المسيحية.

* **ونشأ** في بيئة علمية واعية تحت كنف والده الشيخ حبيب الله، ودرس على العلَّامة علي عباس الجرياكوتى، والشيخ هداية الله خان الرامبوري، والشيخ المربي الأستاذ مولانا محمد فاروق الجرياكوتي ـ ويدين له شبلي في تكوينه العلمي إلى حد كبير ـ.

* **وأخذ الفقه** وأصوله عن العالم الثبت الفقيه الأصولي إرشاد حسين المجددي، **والأدب العربي** عن الشيخ العلَّامة فيض الحسن السهارنفوري الأستاذ بكلية العلوم الشرقية في لاهور، **والحديث النبوي الشريف** عن الشيخ المحقق اللامع، المحدث المتقن، والفقيه الضليع أحمد علي السهارنفوري.

وقام بالحج والزيارة وهو ابن تسعة عشر عامًا، وعمل أستاذًا في كلية عليكراه.

---

(١) صدر لكاتب هذه السطور كتاب واف بترجمة شبلي قامت دار القلم ـ دمشق ـ بطباعته تحت سلستها المعروفة «أعلام المسلمين».

واحتكَّ بأركان الفكر الأوربي والثقافة الحديثة، ودرس كتب علماء أوربا، فحصلت له معرفة بالفلسفة والمعارف الحديثة، وجمع بين القديم والجديد في اعتدال واتزان، من دون تزمت ولا انبهار ببريق الحضارة الحديثة، وكان نقطة بداية لعهد جديد في تاريخ الهند العلمي والثقافي، **ولُقِّب بالمعلِّم الأول للعهد الحديث**.

وشارك في حركة ندوة العلماء منذ تأسيسها، وكان أول عميد لشؤونها التعليمية، فأصلح مناهجها التعليمية، وعمل في تطويرها، وتولَّى رئاسة تحرير مجلتها العلمية الشهيرة «الندوة».

* **وألف الكتب العلمية** التي سارت بها الركبان، ككتاب «سيرة النبي»، و«الفاروق»، و«النعمان»، و«المأمون»، و«تاريخ علم الكلام»، و«تاريخ شعر العجم»، و«الانتقاد على التمدن الإسلامي لجرجي زيدان»، وغيرها من الكتب العلمية والتاريخية والأدبية النافعة، والمقالات والبحوث القيمة.

وخضع لمؤلَّفاته وكتاباته أساطين العلم والأدب في الهند والعالم الإسلامي بأسره، وذاع صيته، واشتهر اسمه، وأصبح في الهند كالعلم المفرد، وتمتاز كتاباته بلغتها السهلة الفصيحة، وأسلوبها الأدبي الرائع، والبيان، والوضوح، ولا يشوبها شيء من الغموض.

* **من أهم مآثره**: عنايته بجانب التعليم وإصلاح المنهاج التعليمي والمقررات الدراسية؛ فكان يحزنه ما آل إليه وضع المدارس الإسلامية في الهند؛ فلما زار البلدان الإسلامية (القسطنطينية، والقاهرة، وبيروت) آلمه أن الوضع التعليمي لا يختلف فيها عن الهند.

ولما بدأت حركة إصلاح جامع الأزهر سنة ١٨٩٩م، اقترح لها العلامة

رشيد رضا في عدد ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ من مجلَّته أسماء ثلاثة من أعلام العالم الإسلامي: الشيخ أحمد جان الروسي، والشيخ الشنقيطي المغربي، والشيخ شبلي النعماني الهندي.

كان شبلي يرى أن يجمع المنهاج التعليمي بين العلوم الإسلامية الأصيلة، والعلوم الحديثة، كتب مرة: «قد قلنا مرارًا، ونؤكد مرة أخرى أننا نحن المسلمين لا يكفينا تعليم المدارس الإنكليزية، ولا تعليم المدارس العربية القديمة، إن البلسم الشافي لدائنا مركب من جزئين شرقي وغربي»[(١)].

* **توفي** ضحوة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجَّة سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة وألف، ببلدة أعظمكراه، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بناحية من منزل شبلي حيث كانت كسور رجله دفنت قبل ثمانية أعوام.

* كان يحب العرب والترك محبة شديدة، فكان لا يملك نفسه إذا نال منهم أحد وعابهم، ردّ على كتاب «التمدن الإسلامي» للأستاذ جرجي زيدان؛ لأنه أساء إلى العرب ونال من بني أمية، وكان يهتم بشؤون تركيا وقضاياها ويجمع التبرعات والمساعدات المالية في حروب تركيا ويرسلها إليها.

وكان متعصبًا لجميع خلفاء وملوك المسلمين، وكان ينكر أشد الإنكار جميع التهم التي وجهت إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه والمأمون، وجهانكير، ومحيي الدين أورنك زيب عالمكير.

---

(١) «مقالات شبلي» (٣/ ١٦١).

* واعترف معاصروه بعلمه وفضله، يقول الأمير محسن الملك: «إنه أول مؤلِّف في عصرنا هذا جمع إلى فصاحة اللغة وحسن البيان وسلاسة العبارة ومحاسن الكتابة الاعتدال والمسامحة، وشق طريق تأليف السيرة في أسلوب بليغ فلسفي نزيه عن التخيلات الشعرية والمبالغة والصناعة والبهرجة والتزويق»[1].

(١) «حياة شبلي» (٨٠٣).

الإمام ابن تيمية وعلماء الهند

عرفت الهند الإمام ابن تيميّة في عهده، وكان له التأثير القوي في سلطان الهند محمد تغلق (٧٢٥ ـ ٧٥١/ ١٣٢٥ ـ ١٣٥١)[١].

(١) وهو: أبو مجاهد فخر الدين محمد بن تغلق شاه التركي الدهلوي السلطان الجائر المشهور بالعادل، ولد ونشأ بأرض الهند، وكان أبوه تركيًّا من مماليك صاحب الهند، فتنقَّل إلى أن ولي السلطنة واتسعت مملكته جدًّا.
وكان هذا الملك من عجائب الزمن وسوانح الدهر، لم ير مثله في الملوك والسلاطين في بذل الأموال الطائلة وسفك الدماء المعصومة وفتح الفتوحات الكثيرة وتوسيع المملكة العظيمة.
قال ابن بطوطة في كتاب الرحلة: «إنما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعاينته ولا سيَّما جوده على الغرباء، فإنه يفضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الإحسان ويسبغ عليهم، ومن إحسانه إليهم أن سماهم (الأعزَّة)، ومنع أن يُدْعوا (الغرباء) وقال: «إنَّ الإنسان إذا دعى غريبًا انكسر خاطره وتغيَّر حاله». **فمن ذلك**: أنه قدم عليه ناصر الدين الترمذي الواعظ وأقام تحت إحسانه مدة عام، ثم أحب الرجوع إلى وطنه فأذن له في ذلك ـ ولم يكن يسمع وعظه ـ، فأمر أن يهيأ له منبر من الصندل الأبيض المقاصري وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم وخلع على ناصر الدين خلعة مرصعة بالجوهر ونصب له المنبر فوعظ وذكر، فلما نزل عن المنبر قام السلطان إليه وعانقه وأركبه على فيل وضربت له سراجة من الحرير الملون وصيوانها من الحرير وخباؤها أيضًا كذلك، فجلس الواعظ فيها وكان بجانبها أواني الذهب أعطاه السلطان إياها، وكذلك تنور كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد، وقدران وصحاف، كل ذلك من الذهب، وقد كان أعطاه عند قدومه مائة ألف دينار.
ومن ذلك: أنه وفد عليه غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي، فلما وصل إلى بلاد السند بعث السلطان من =

= يستقبله، ولما وصل إلى سرستي بعث لاستقباله القاضي كمال الدين الهانسوي وجماعة من الفقهاء، ثم بعث الأمراء لاستقباله، فلما وصل إلى خارج الحضرة خرج بنفسه واستقبله، ولما دخل دار الملك أنزله بدار الخلافة (سيرى) في القصر الذي بناه السلطان علاء الدين الخلجي. وأعد له فيه جميع ما يحتاج إليه من أواني الذهب والفضة، حتى من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب، وبعث له أربعمائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجواري، وعين لنفقته كل يوم ثلاثمائة دينار وبعث له زيادة إليها عددًا من الموائد بالطعام الخاص، وأعطاه جميع مدينة (سيرى) إقطاعًا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه، وأعطاه مائة قرية، وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلي، وأعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن.

ومما يحكى من تواضع السلطان وإنصافه: أنه ادعى عليه رجل من كبار الوثنيين أنه قتل أخاه من غير موجب، ودعاه إلى القاضي، فمضى على قدميه ولا سلاح معه إلى مجلس القاضي، فسلَّم وخدم، وكان قد أمر القاضي قبلُ أنه إذا جاءه إلى مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك، فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي، فحكم عليه أن يُرضِي خصمه من دم أخيه، فأرضاه. **ومن ذلك**: أنه ادعى صبي من أبناء الملوك عليه أنه ضربه من غير موجب ورفعه إلى القاضي، فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال إن قبل ذلك وإلا أمكنه القصاص، فعاد لمجلسه واستحضر الصبيَّ وأعطاه عصًا وقال: وحق رأسي أن تضربني! فأخذ الصبي العصا وضربه بها إحدى وعشرين ضربة، وذلك مما شاهده ابن بطوطة، وإني رأيت الكلاه قد طارت عن رأسه.

ومما يحكى في اشتداده في إقامة الشرع ورفع المغارم والمظالم: أنه كان شديدًا في إقامة الصلاة آمرًا بملازمتها في الجماعات، يعاقب على تركها أشد العقاب، ولقد قتل في يوم واحد تسعة رجال على تركها - كان أحدهم مغنِّيًا -، وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك إلى الأسواق، فمن وجد بها عند إقامة الصلاة عوقب، حتى انتهى إلى عقاب الستائرين الذين يمسكون دواب الخدام إذا ضيعوا الصلاة. وأمر أن يطالب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الإسلام، فكانوا يسألون عن ذلك، فمن لم يحسنه عوقب، وصار الناس يتدارسون ذلك ويكتبونه. ومما قيل في ذلك إنه أمر أخاه أن يكون قعوده مع قاضي القضاة في قبة مرتفعة مفروشة بالبسط، =

= فمن كان له حق على أحد من كبار الأمراء وامتنع من أدائه لصاحبه يحضره رجال أخيه عند القاضي لينصفه.

ومما فعل كذلك أنه أمر برفع المكوس عن بلاده، وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة، وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس، ولا يقوم بين يديه في ذلك اليوم إلا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غير، ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من المثول بين يديه، وعين أربعة من الأمراء الكبار يجلسون في الأبواب الأربعة لأخذ القصص من المشتكين، فإن أخذ الأول فحسن وإلا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع، وإن لم يأخذوه مضى إلى قاضي المماليك، فإن أخذه منه وإلا شكا إلى السلطان، فإن صح عنده أنه مضى إلى أحد منهم فلم يأخذه منه أدَّبه، وكل ما يجتمع من القصص في سائر الأيام يطالعه بعد العشاء الآخرة.

وأما فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله فلا تسأل عن ذلك، فإنه كان مع تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على إراقة الدماء، لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر، كان يعاقب على الصغيرة والكبيرة، ولا يحترم أحدًا من أهل العلم والصلاح والشرف، وفي كل يوم يرد عليه من المسلسين والمغلولين والمقيدين مئون، فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب.

ومن أعظم ما نقم عليه: إجلاؤه لأهل دهلي عنها؛ وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويكتبون عليها: «وحق رأس السلطان ما يقرؤها غيره»! ويرمون بها في القصر ليلًا، فإذا فضها وجد فيها شتمه وسبه؛ فعزم على تخريب دهلي، واشترى من أهلها جميعًا دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها، وأمرهم بالانتقال إلى دولت آباد، فأبوا ذلك؛ فنادى مناديه أن لا يبقى بها أحد بعد ثلاث، فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور، فأمر بالبحث عمن بقي بها، فوجد عبيده بأزقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر أعمى، فأمر بالمقعد فرمي بالمنجنيق، وأمر أن يجر الأعمى من دهلي إلى دولت آباد مسيرة أربعين يومًا، فتمزق في الطريق وقضى نحبه؛ ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعًا وتركوا أثقالهم وأمتعتهم، وبقيت المدينة خاوية على عروشها، ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دهلي ليعمروها، فخرجت بلادهم ولم تعمر دهلي لاتساعها وضخامتها». =

وزار الهند الشيخ عبد العزيز الأردويلي أحد تلاميذ ابن تيمية[١]،

= وذلك قليل من كثير من فتكاته، نقلتها من كتاب «الرحلة» للشيخ محمد بن بطوطة المغربي الرحالة، وهو قد دخل الهند في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، فأكرمه محمد شاه وولاه القضاء بمدينة دهلي.

ولابن بطوطة قصيدة في مدح السلطان، منها قوله:

إليك أمير المؤمنين المبجَّلا ... أتينا نجدُّ السير نحوك في الفلا
فجئت محلًّا من علائك زائرًا ... ومغناك كهف للزيارة آهلا
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة ... لكنت لأعلاها إمامًا مؤهَّلا
فأنت الإمام الماجد الأوحد الذي ... سجاياه حتمًا أن يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك أرتجي ... قضاها وقصدي عند مجدك سهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكم ... فإن حياكم ذكره كان أجملا
فعجِّل لمن وافى محلك زائرًا ... قضا دينِه إن الغريم تعجَّلا

* **قال القاضي محمد بن علي الشوكاني** في «البدر الطالع» أنه كان جوادًا متواضعًا عالمًا بفقه الحنفية مشاركًا في الحكمة، ومن محبته للعلماء: أنه أهدى له شخص أعجمي «الشفاء» لابن سينا بخط ياقوت الحموي في مجلَّد واحد، فأجازه بمال عظيم، يقال إن قدره مائتا ألف مثقال أو أكثر، وورد كتابه على الناصر صاحب مصر في مقلمة ذهب زنتها ألفا مثقال مرصعة بجوهر قوم بثلاثة آلاف دينار، وجهز إليه مرة مركبًا قد ملئ من التفاصيل الهندية الفاخرة الفائقة وأربعة عشر حقًا قد ملئت من فصوص الماس وغير ذلك، فاتفق أن رسله اختلفوا فقتل بعضهم بعضًا، فنمى ذلك إلى صاحب اليمن، فقتل الباقين بمن قتلوا واستولى على الهدية، فبلغ الناصر فغضب وكاتب صاحب اليمن في معنى ذلك، وجرت أمور يطول شرحها.

وكان مع سعة مملكته عنينا كُوِي على صلبه وهو حَدَث لعلَّة حصلت له. ويقال: إن عساكره بلغت ستمائة ألف، وإنه كان له ألف وسبعمائة فيل، وفي خدمته من الأطباء والحكماء والعلماء والندماء عدد كثير لم يجتمع لغيره، وكان يُخطَبُ له على منابر بلاده: «سلطان العالم»، «إسكندر الزمان»، «خليفة الله في أرضه»، انتهى. مات سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. (نزهة الخواطر ٢/ ١٣٢ ـ ١٣٩).

(١) وهو الشيخ العالم الفقيه المحدث عبد العزيز الأردبيلي = (الأردويلي) أحد العلماء المبرزين في الفقه والحديث، قرأ بدمشق على شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية =

وأعجب محمد تغلق به إعجابًا كبيرًا، وقَبَّل قدميه في مشهد من الناس، على ما حكاه ابن بطوطة في رحلته، يقول:

«وكان عبد العزيز هذا فقيهًا محدِّثًا، قرأ بدمشق على تقيِّ الدين بن تيمية، وبرهان الدين بن البركح، وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي وغيرهم. ثم قدم على السلطان، فأحسن إليه وأكرمه. واتفق يومًا أنه سرد عليه أحاديث في كرم العباس وابنه رضي الله عنهما، وشيئًا من مآثر الخلفاء أولادهما. فأعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس، وقبل قدمي الفقيه، وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألفا تنكة، فصبها عليه بيده، وقال: هي لك مع الصينية»[(١)].

ويقول ابن بطوطة: «وفد عليه الفقيه عبد العزيز الأردويلي، وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق فتفقه فيه، فجعل مرتَّبه مائة دينار دراهم في اليوم، وصرف ذلك خمسة وعشرون دينارًا ذهبًا، وحضر مجلسه يومًا، فسأله السلطان عن حديث؛ فسرد له أحاديث كثيرة بذلك المعنى، فأعجبه حفظه، وحلف له برأسه أنه لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه؛ ثم نزل الملك عن مجلسه فقبَّل قدميه وأمر بإحضار صينية من ذهب - وهي مثل الطيفور الصغير -، وأمر أن يؤتى فيها ألف دينار من الذهب، وأخذها السلطان بيده فصبَّها عليه وقال: هي لك مع الصينية»[(٢)].

يقول البروفسور خليق أحمد نظامي: «ولو أن ابن بطوطة لم يذكر لنا زيارة عبد العزيز الأردويلي للسلطان وترحيبه به لكنا في ظلام من الدافع الذي

= الحراني، وبرهان الدين بن البركح، وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي وعلى غيرهم من العلماء، ثم قدم الهند وتقرب إلى محمد شاه تغلق، فأحسن إليه وأكرمه. (نزهة الخواطر ٢/ ٧١).

(١) «رحلة ابن بطوطة» (ص٤٥٦).

(٢) «رحلة ابن بطوطة» (ص٢١٢).

دفع السلطان إلى نشاطاته الدينية والسياسية. ويمتاز محمد بن تغلق عن غيره من سلاطين دهلي باطلاعه القريب الواسع على التطورات السياسية والفكرية في العالم الإسلامي وراء حدود الهند، وكانت استجابته لهذه التطورات مطابقة تمامًا لآراء ابن تيمية»[١].

ويقول العلَّامة أبو الحسن علي الندوي في تقديمه لبحث البروفيسور خليق أحمد نظامي: «قد جاء في المقالة وصف ابن تيميَّة الدقيق المؤسَّس على دراسة جوانبه المميزة، وسماته البارزة، ودوره الإصلاحي والتجديدي، وقد أصاب في قوله: «إنه اخترق تأثير أفكاره حدود الزمان والمكان»، وأبرز الحقيقة المغمورة تحت أنقاض التاريخ أن ملك الهند محمد بن تغلق كان مناصرًا قويًّا ومحاميًا متحمسًا لآرائه وأفكاره، ولم ينتبه لها ولم ينوه بها إلا القليل النادر من المؤرِّخين للحكومات والمجتمعات الهندية»[٢].

وظل تأثير ابن تيمية في الهند محدودًا حتى برز ولي الله الدهلوي على المسرح العلمي والفكري في الهند، وتأثر بابن تيمية في كثير من آرائه في كتابه «حجة الله البالغة» وغيره من الكتب، وكتب إليه المخدوم محمد معين بن محمد أمين التتوي السندي مؤلِّف «دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب» يسأله عن رأيه حول بعض أفكار ابن تيمية، فكتب إليه:

«أرى أن جميع العلماء المسلمين عدول، فإنهم يملكون عقيدة سليمة وعملًا صالحًا، وقال النبي ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله**». يمكن أن يعتقدوا في أشياء يوجد فيها خلاف، فما دامت هذه الأمور لا تعارض نصًّا صريحًا من القرآن وسُنَّة النبيِّ ﷺ والإجماع لا يجوز ذمهم.

إني وصلت بعد البحث والتحقيق إلى أن ابن تيمية كان عالمًا بكتاب الله تعالى وخبيرًا بما فيه من معان وأحكام؛ حفظ عن ظهر قلبه أحاديث

---

(١) «شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثيره في آسيا الجنوبية» (ص٧).

(٢) «شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثيره في آسيا الجنوبية» (ص١).

الرسول ﷺ وتفاسير السلف، وفقه معانيها وإشاراتها اللغوية والحكمية، وكان عالمًا للنحو واللغة، معترفًا بفضله في هذا المجال، مرجعًا للفقه الحنبلي أصوله وفروعه، متقدمًا في العقل والذكاء، دافع عن أهل السُّنَّة دفاعًا بليغًا قويًا. ولا تحكى عنه بدعة ولا فسق، وإنما هي قضايا عديدة وصلت إلينا ضايقه فيها معاصروه، ولكن ليست هناك قضية واحدة لا يؤيده فيها قرآن ولا سُنَّة.

من الصعب أن يوجد في العالم كله شخص يجمع صفات ابن تيمية؛ لا يقاربه أحد في قوة الخطاب والكتاب ولا يدانيه.

إن أولئك الذين ضايقوه وسجنوه لم يبلغوا معشار ما أوتيه من العلم والفضل والنبوغ، وخلاف العلماء في ذلك يشبه خلاف أصحاب النبي ﷺ، ومن الضروري أن يمسك اللسان ويكف عن الوقوع في مثل هذه الأمور...».

ثم أشار الإمام الدهلوي إلى الاعتراضات ضد ابن تيمية واحدًا بعد آخر كرأيه عن صفات الله تعالى، وزيارة قبر النبي ﷺ، وأكد أنه وإن كان هناك مجال للخلاف مع ابن تيمية ولكنه لا سبيل إلى أن يتهم بالتجديف والابتداع، وقال في الأخير: «أنا أحذِّر المسلمين باسم الله تعالى من أن يقعوا فيه ويقدحوه بشيء»[1].

وكان أقوى المناصرين لفكر ابن تيمية بعد ولي الله الدهلوي: الأمير العالم السيد صديق حسن خان، وتبعه في ذلك العلامة المحدث نذير حسن الدهلوي.

ولعل أول من نجحت كتابته في إعطاء ابن تيمية مكانته التي يستحقها هو العلامة شبلي النعماني.

---

(١) «رسائل ولي الله االدهلوي» (ص٢٦ ـ ٢٩)، وانظر أيضًا كتاب «الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي» لمحمد بشير السيالكوتي (ص٥٤ ـ ٥٩).

موقف شبلي من ابن تيمية

كان شبلي أصوليًّا متكلمًا، مدافعًا عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، مترددًا بين الأشاعرة والماتُريدية[١]، مع ميل إلى مذهب المحدِّثين وإشادة بجهود الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على الأشاعرة، وقام - مع تنويهه ببعض آراء الأشاعرة - بانتقادهم في تفلسفهم الغالي، وإضاعتهم جهودهم في المسائل التي لا تهم الإسلام، وإثارة كثير من الشكوك والشبهات التي قادتهم إليها عقليتهم المصطنعة، يقول: «يشتمل جزء كبير من كلام الأشاعرة على الرد على الفلسفة الإغريقية، لا شك أن روح علم الكلام هو الرد على قضايا الفلسفة التي تعارض الإسلام، لكن المتكلمين ارتكبوا أخطاء شنيعة، فكثير من القضايا التي كانوا يرونها من الفلسفة اليونانية لا تمت إليها بصلة، بينما كانت كثير من آراء فلاسفة اليونان لا تعارض الإسلام في الغالب»[٢].

كان علماء الحنفية في القديم متَّبِعين لمذهب أبي منصور الماتُريدي، حتى إن ابن الأثير كتب في حوادث سنة ست وستين وأربع مائة: «وهذا مما يستظرف أن يكون حنفيٌّ أشعريًّا»، ولكن العلماء المتأخرين من الحنفية مالوا إلى مذهب الأشاعرة، وذلك بتأثير الإمامين الغزالي والرازي، ولكن شبلي لم يرض بهذا المنهج التقليدي، فرد على الأشاعرة أخطاءهم، وقبل من الماتريدية ما وافق الصواب من آرائهم.

وأشاد في كتاباته بفضل الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ونوه

---

(١) اتهمه معارضوه بالاعتزال كذبًا وزورًا، وقد أنكر ذلك أشد الإنكار، يقول العلَّامة السيد سليمان الندوي: «إنه لمن الخطأ البين اتهامه بالاعتزال، بل الحق أنه كان متصلبًا في المذهب الحنفي، فلمَّا اتجه إلى علم الكلام انتهى إلى الماتُريدية» (حياة شبلي: ٢٨٥).
قلت: لو طالت به الحياة لانتهى إلى مذهب المحدِّثين.

(٢) «علم الكلام» (٩٠).

بانتقاداته للفلاسفة والمتكلمين، يقول شبلي: «اضطلع ابن تيمية من علم الكلام، ونظر في الطرق الكلامية نظرة بحث وتحقيق؛ درس كلام الأشاعرة فوجد فيها مسائل لم ينتقدها أحد مع أنها كانت تستحق النقد، فقام ابن تيمية بكل حرية واستقلال بإبطال هذه المسائل»[١].

كان شبلي معجبًا بالإمام الغزالي أيما إعجاب، ويبدو أنه صار له ميل في آخر حياته إلى مذهب المحدثين، وذلك بفضل ما اطلع عليه من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فأغرم به، وظهر له فضله على غيره، وكانت هذه خطوة جريئة منه في جو الهند المعادي للإمام ابن تيمية أشد المعاداة، ونوى أن يؤلف كتابًا حافلًا عن حياته، ولكن المنية أعجلته، يقول في إحدى رسائله: «إن التأليف عن حياة الإمام ابن تيمية لفريضة أولى، سقط الغزالي والرازي من عيني بعد أن اطلعت على هذا الرجل»[٢].

يقول تلميذه السيد سليمان الندوي: «كان إعجابه بالغزالي ثم الرازي أكبر لمَّا ألف كتابه (الكلام)، ولما طُبعت كتب العلَّامة ابن تيمية واطلع عليها غلب عليه لون ابن تيمية، وكانت بداية ذلك الرد على المنطقيين... وكان يقول لي في آخر حياته: (أرضى بأن أتبع ابن تيمية في كل أمر)»[٣].

كتب شبلي مقالًا في مجلة «الندوة» سنة ١٩٠٨م تحت عنوان «**العلَّامة ابن تيمية الحراني كمجدد لقرنه**» ـ وهو المقال الذي أقدِّمه الآن إلى القراء معْرَبًا ـ **ذكر فيه ثلاث صفات أساسية لمجدِّد**:

١ ـ أنْ يحدِث انقلابًا هادفًا في مجال الدين أو التعليم أو السياسة.

٢ ـ وأن تكون آراؤه الإصلاحية نتيجة للاجتهاد لا التقليد.

---

(١) «علم الكلام» (١٠٢).

(٢) «مكاتيب شبلي» (٢/ ١١٥).

(٣) «حياة شبلي» (ص٨٢٩ ـ ٨٣٠).

٣ ـ وأن يكون قد احتمل مصائب جسدية في سبيل نشر أفكاره، وقدم لها تضحيات من نفسه وروحه.

ووجد شبلي هذه الصفات مجتمعة في ابن تيمية، ورآه يفوق كثيرًا من عباقرة تاريخ الإسلام[١].

تأثير شبلي في السيد سليمان الندوي

وكان من تأثير ذلك أن العلَّامة السيد سليمان الندوي نشأ على محبَّةٍ لهذا الإمام العبقري شيخ الإسلام ابن تيمية، ويؤكد أنه «لما اضطلع من دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم زال عن قلبه كل أثر من آثار غيرهما، وامَّحى كل لون من الألوان»[٢]، وأخذ منهما كثيرًا ـ من آرائهما ـ في كتابه «سيرة النبيِّ» وغيره من المؤلفات.

وقدّم لكتاب «الرد على المنطقيين». فبدأ مقدمته بقوله: «هذا كتاب لم ينسج على منواله، ولم يسبق له نظير، فهو نقد ما قاله وأصّله وأسسه أرسطو حكيم اليونانيين».

ويقول السيد الندوي: «وإذا أنعمت النظر في هذا الكتاب تجد مسائل منطقية وفلسفية، ابن تيمية أبو عذرتها، وهي تطابِق كل المطابقة بما قال فلاسفة الأفرنج في هذا العصر في بعض مسائل المنطق والفلسفة».

ويقول: «فمما يجب عليّ في هذه الوجيزة الإلماع به هو ما قال المصنف في حقيقة الحد والجنس والفصل واللزوم وحقيقة العلة والقياس والاستقراء، والاستدلال بالمشهورات، والاكتفاء بمقدمة واحدة في القياس، وغيره من المباحث العويصة التي حل المصنف مشكلها ببيان واضح ودليل راهن، وما قال في العلة واللزوم هو عين ما قاله هيوم الفلسفي في كتبه،

---

(١) انظر: «مقالات شبلي» (٥/ ٢٦ ـ ٦٧).

(٢) انظر: «الكتب التي لها مِنَّة على العلماء الأعلام» (ص١٨).

ومسئلة اللزوم والعلية من المسائل العويصة التي ضلت في واديها الأفهام ونبعت من عيونها ضلالات الطبائعيين من أهل الإلحاد. وكم لهذا النابغة من نوادر لم يسبقه إليها أحد رضي الله عنه».

ويقول السيد الندوي: «أدين في اهتمامي بعلم الكلام لتربية العلَّامة شبلي، فقرأت مؤلفاته، وراجعت مصادرها، وطالعت «الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، و«كشف الأدلة لابن رشد» و«حجة الله البالغة» للشاه ولي الله، وأثَّر كل منها في نفسي، وأخيرًا درست مؤلَّفات العلَّامة ابن تيمية والحافظ ابن القيم، فاندرس كل رسم، وامَّحى كل أثر»[(١)].

الإمام أبو الحسن علي الندوي واهتمامه بابن تيمية

وورث شيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي هذا التقدير لشيخ الإسلام ابن تيمية، والاعتراف بدوره في الإصلاح والتجديد، وأفرد الجزء الثاني من كتابه الذائع الصيت «رجال الفكر والدعوة»[(٢)] لدراسة آثاره وأعماله، ألفه باللغة الأردية، ثم نُقل الكتاب إلى العربية، لخص فيه مآثره التجديدية في النواحي الأربعة: ١ ـ تجديد عقيدة التوحيد، وإبطال العقائد والتقاليد المشركة، ونقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، ٢ ـ وترجيح منهج الكتاب

---

(١) «الكتب التي لها مِنَّة على العلماء الأعلام» (ص١٨).

(٢) يقول الأستاذ مصطفى السباعي في تقديمه للكتاب: «وهذا الكتاب ـ الذي نقدّمه اليوم لقرّاء العربية ـ صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي، وميوله الإصلاحية، ولفهمه العميق للتاريخ الإسلامي، ولروح الإسلام الصافية المشرقة، وما علق بها ـ في العصور الأخيرة ـ من غبار، وما أصابها من انحراف، وبذلك يسدّ هذا الكتاب ثغرةً في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا وما نزال نشعر بالحاجة إليها، إذ يتحدث عن تاريخ الإصلاح في حياة المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي، كما يعرض لنا صورة واضحة لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الأموي».

والسُّنَّة وأسلوبهما على كل منهج وأسلوب، ٣ ـ والرد على الفرق والملل غير الإسلامية، ومقاومة عقائدها وتقاليدها وتأثيرها، ٤ ـ وتجديد العلوم الشرعية وبعث الفكر الإسلامي.

يقول الشيخ الندوي في مقدمته للكتاب وهو يعدد جوانب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية التجديدية: «. . . ويكون مع ذلك من فرسان العمل والكفاح، ويجمع بين القلم والسيف، جريئًا على الملوك في الصدع بالحق، لا يُحجم عن قيادة الجيش الإسلامي أمام أضرى عدو مثل الوحوش التتار، ويعرفه كلٌّ من حِلق الدرس، وزوايا المكتبات، وخلوات المساجد، ومجالس المناظرة، ومعتقلات السجون، وساحات الحرب كفارس عظيم ورجل ذي شكيمة، مبجلًا في كل عين، ومعتَرفًا بإمامته في كل طبقة».

«كان القرن الثامن بحاجة إلى مثل هذا الرجل الكامل الذي يسع نشاطه كل مجال من مجالات الحياة، من غير أن تنزوي جهوده وأعماله في زاوية واحدة، أو تتركز على جانب واحد، كان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي ملأ العالم الإسلامي بنشاط وحياة بحركات علمية ودينية لا تزال آثارها خالدة باقية على مر القرون والأجيال»[١].

تلخيص تأثير ابن تيمية في الهند

يقول البروفيسور خليق أحمد نظامي: «استجابت آسيا الجنوبية لدور ابن تيمية كمصلح ومناصر للاجتهاد وكموحد متصلب ومعارض للبدعة، وكمثال للكفاح ضد الاحتلال الأجنبي السياسي، وعلى كل فإن أفكاره رأت الاستجابة والتطبيق في عصور مختلفة حسب مقتضياتها ومتطلباتها، ولا نجد في أي مرحلة من مراحل التاريخ أن فكر ابن تيمية طبق تطبيقًا كاملًا إلا في عهد محمد تغلق».

---

(١) مقدمة الجزء الثاني لـ«رجال الفكر والدعوة».

«كان تأثير ابن تيمية في آسيا الجنوبية كمصلح ومعارض للبدعة عميقًا، قلَّما ترى أي حركة إسلامية إصلاحية نشأت في الهند إلا واستوحت من فكر ابن تيمية في ناحية أو أخرى في الكفاح ضد العادات والتقاليد المستحدثة في المجتمع الإسلامي»[1].

أقتصر على هذا القدر من عرض تأثير ابن تيمية في الهند تمهيدًا لنص مقال شبلي النعماني، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) «شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثيره في آسيا الجنوبية» (ص٢٨ ـ ٢٩).

الإمام ابن تيمية الحراني

مجدد القرنه

العلامة شبلي النعماني

(١٨٥٧-١٩١٤هـ)

نقله من الأردية إلى العربية واعتنى به

الدكتور محمد أكرم الندوي

الإمام ابن تيمية الحراني مجددًا لقرنه[1]

قد خلا في الإسلام مئات وآلاف من العلماء والفضلاء وأئمة العلوم والفنون وساسة البلاد ومدبري الدول، ولكن المجدِّدين المصلحين من بينهم عددهم قليل جدًّا، ورد في حديث أنه يبعث في هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[2].

---

(١) وهو مقال للعلَّامة شبلي النعماني صدر في مجلة «الندوة» سنة ١٩٠٨م، ثم طبع في مجموعة مقالات شبلي (٥/ ٢٦ ـ ٦٧).

(٢) قام كاتب هذه السطور بدراسة لهذا الحديث أنقلها هنا:

قالوا: اشرح لنا معنى حديث التجديد.

قلت: سبق لي أن ألقيت دروسًا غير مرة في مناسبات عديدة في بعض الكليات والمراكز التعليمية في بريطانيا حول موضوع الإصلاح وتاريخه، شرحت فيها معنى حديث التجديد الذي اشتهر في الناس اشتهار النار على العلم، وسارت به الركبان، وتناوله العلماء بالشرح والبيان.

وهو الحديث الذي أخرجه الإمام أبو داود في الملاحم من سننه عن سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ فيما أعلم ـ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».

الظاهر أن قوله (فيما أعلم) قائله أبو علقمة أو من دونه، يقول: في علمي أن أبا هريرة حدثه مرفوعًا لا موقوفًا عليه.

قال أبو داود: رواه عبد الرحمٰن بن شريح الإسكندراني (أي: عن شراحيل بن يزيد المعافري)، لم يجز به شراحيل، فالحديث معضل، إذ أسقط عبد الرحمٰن بن شريح أبا علقمة وأبا هريرة. وعبد الرحمٰن بن شريح ثقة اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه، وكذلك سعيد بن أبي أيوب الذي رواه موصولًا متفق على الاحتجاج به، فوقع فيه اختلاف ثقتين في الاتصال والانقطاع، ولعل الراجح هو =

= الانقطاع، فإن من وصله لم يجزم برفعه.
وشراحيل بن يزيد المعافري، لم يخرج له أصحاب الأصول الستة إلا أبا داود، فإنه أخرج له هذا الحديث الواحد، ولم يخرج له غيره، ولم يوثقه أحد، غير أن ابن حبان ذكره في الثقات، وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٥٥): «شراحيل بن يزيد المعافري، سمع مسلم بن يسار، عن أبي علقمة. روى عنه عبد الرحمٰن بن شريح وسعيد بن أبي أيوب». ، فلم يثبت البخاري سماعه من أبي علقمة، وأدخل بينه وبينه مسلم بن يسار.
وقد أخرجه أبو القاسم الطبراني في «المعجم الأوسط» من طريق عبد الله بن وهب به، ثم قال: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابن وهب».
قالوا: فما رأيك فيمن صحح هذا الحديث؟ قلت: صححه بناءً على أن رجاله رجال مسلم، فأخطأ في ذلك؛ لأن مسلمًا لم يخرج لشراحيل هذا إلا حديثًا واحدًا في المقدمة، ولم يخرج له شيئًا في كتابه، ومن المعلوم أن شرط مسلم في المقدمة دون شرطه في الكتاب، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار والعلماء الأعلام.
فالحديث كما نرى فرد ضعيف مشكوك في رفعه، والعجب الغريب (والعجائب والغرائب لا تنتهي) أن الناس ربطوا الإصلاح والتجديد بمائة سنة، حتى جاء السيوطي فسمَّى المجددين في كل مائة سنة، وحصر أمر التجديد بعد الإمام الشافعي في أتباع مذهبه، وذكر في المائة الثالثة ابن سريج والأشعري، وأغفل الإمام أحمد بن حنبل، وهو لا شك أفضل من قام بأمر الإصلاح والتجديد في ذلك القرن.
ورشح السيوطي نفسه للتجديد في قرنه فقال:

وهذه تاسعة المئين قد ... أتت ولا يخلف ما الهادي وعد
وقد رجوت أنني المجدد ... فيها بفضل اللَّه ليس يجحد

وأغلق السيوطي بعد ذلك باب التجديد، وقال:

وآخر المئين فيما يأتي ... عيسى نبي اللَّه ذو الآيات

السؤال الذي ينبغي أن يثار هنا: أليس الناس في كل عصر في حاجة إلى من يصلح لهم أمر دينهم، فلماذا ننتظر إلى إتمام مائة سنة حتى يظهر مصلح، ثم إن التقويم الهجري لم يكن في الوجود حينما أخبر النبي ﷺ بهذا.
فما هو الأمر الثابت المعول عليه في ذلك؟ =

إن صح هذا الحديث فلا بد أن يكون نشأ في الإسلام إلى الآن ثلاثة عشر مجدِّدًا على أقل حساب، ولكن الذين أضفِيَ عليهم لقب التجديد تصديقًا لهذا الحديث أغلبهم رجال عاديون، حتى إن العلامة جلال الدين السيوطي رشَّح نفسه مجدِّدًا لقرنه[1]، وسبب ذلك أن الناس لم يقدِّروا مكانة المجدد.

صفات المجدد الأساسية

فالمجدد لا بد أن تتوفر فيه ثلاث صفات أساسية:

١ ـ أن يحدث انقلابًا هادفًا في مجال الدين أو التعليم أو السياسة.

٢ ـ وأن تكون آراؤه الإصلاحية نتيجة للاجتهاد لا التقليد.

٣ ـ وأن يكون قد احتمل مصائب جسدية في سبيل نشر أفكاره، وقدم لها تضحيات من نفسه وروحه.

قلما تتوفر هذه الشروط حتى في المتقدمين، وأما عصرنا فيكفي الرجل فيه للسعادة بهذا اللقب أن يكون مقلدًا لأوربَّا.

= قلت: الأصل في ذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهو على ذلك**».

ويشرحه الحديث الذي جاء فيه: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**».

قلت: نحمل حديث «مائة سنة» على قرن، والقرن معناه الجيل والطبقة من الناس، فإذن يكون في هذه الأمة في كل جيل وطبقة من الناس مصلحون.

وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي حيث يقول في حجة الله البالغة: قوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على الضلالة**»، وقوله ﷺ: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» تفسيره في حديث آخر: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**».

(١) راجع مقالي الذي أثبته آنفًا في التعليق.

إن لم نجعل الشرط الثالث لازمًا دخل في نطاق التجديد الأئمة أبو حنيفة، والغزالي، والرازي، والشاه ولي الله.

المستحق لوصف المجدد في كامل معناه

إن الرجل الذي يستحق أن يسمى مجدِّدًا في معنى الكلمة هو الإمام ابن تيمية.

إننا نعلم أن هناك أمورًا يترجح فيها الإمام الغزالي وغيره على ابن تيمية، ولكنها أمور تقع خارج حدود التجديد، فالخصائص الحقيقية للتجديد التي تتوفر في الإمام ابن تيمية قلما يوجد لها نظير في غيره، ومن ثم نريد أن نسجل تحت هذا العنوان سيرة الإمام المذكور ومزاياه التجديدية[١].

---

(١) قلت: لم يجد شبلي فرصة لبيان مآثر ابن تيمية التجديدية، يقول البروفسور خليق أحمد نظامي: «وهو (أي شبلي النعماني) أول من درس الدور السياسي لابن تيمية، كان ذلك تحولًا عن اتجاه السيد أحمد خان والأمير صديق حسن ومولانا نذير حسين الذين لم يقدموه إلا كمصلح ديني، كان شبلي يود أن يدخل ابن تيمية ضمن سلسلته المعروفة بأبطال الإسلام، ولكن لم يُقدَّر له ذلك». «شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثيره في آسيا الجنوبية» (ص٢١ ـ ٢٢).

ومن أراد الوقوف على تفاصيل دور ابن تيمية التجديدي، فليراجع الجزء الثاني من كتاب «رجال الفكر والدعوة» لشيخنا الإمام أبي الحسن علي الندوي، وقد لخص الذهبي كل ذلك أبلغ تلخيص في «الجزء المفقود من سير أعلام النبلاء» إذ قال: «وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو طفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم»، وقال ابن عبد الهادي: «قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه». «العقود الدرية» (ص٩).

اسمه ونسبه

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي[١].

ينحدر آباؤه من حران، وهي من ضواحي دمشق[٢].

سبب نسبته إلى تيمية

وكان جده محمد بن الخضر تُسمَّى أمه تيميَّة، وكانت امرأة فاضلة واعظة، فنسب إليها وعرف بها[٣].

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩١ ـ ٤٩٣)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٤٤). وحلّاه ابن رجب بـ«الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الأصولي الزاهد تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام وعلم الأعلام».

(٢) أخطأ شبلي إذ جعل حران تابعة لدمشق، فحران تقع الآن في تركيا، وكانت في الخلافة العثمانية تابعة لحلب، قال ياقوت الحموي: هي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعُرّبت فقيل: حران، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون... فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم ولها تاريخ. «معجم البلدان» (٢/ ٢٣٥).

(٣) قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» عند ترجمة فخر الدين ابن تيمية الحرّاني جدّ شيخ الإسلام ابن تيميّة في المجلد الرابع، رقم الترجمة [٦٥٧]: وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل، فقال: ورد إربل حاجًّا في سنة أربع وستمائة، وذكر فضله، وقال: كان يدرس التفسير في كل يوم، ثم قال ـ أي: ابن المستوفي ـ: سألته عن اسم تيمية ما معناه، فقال: حج أبي أو جدّي، أنا أشك أيهما، قال: وكانت امرأته حاملًا، فلما كان بتيماء رأى جويرية قد خرجت من خباء، فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد وضعت جارية، فلما رفعوها إليه قال: يا تيميَّة، يا تيميَّة؛ يعني: أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسميّ بها، أو كلامًا هذا معناه.

بيته

ولد في بيت وارث للعلم منذ سبعة أو ثمانية قرون، عرف آباؤه بالتدريس، وتميزوا جميعًا بالعلوم والفنون[١].

وكان أبوه عبد الحليم عالمًا كبيرًا ذا نبوغ في الحديث النبوي الشريف[٢].

---

(١) قال الحسيني في «صلة التكملة» في ترجمة جده المجد ابن تيمية: «وبيته مشهور بالعلم والدين والحديث». وقال في ترجمة جدته أم البدر: «وبيتها مشهور بالعلم والخير وقد حدّث منه جماعة» (١/ ٣٠٢ و٣٠٥). وقال في ترجمة عبد القاهر ابن تيمية (٢/ ٦٣٧): «وبيته معروف بالعلم والحديث والتقدم».
وقال قطب الدين اليونيني - في ترجمة شهاب الدين ابن تيمية -: «وهو من بيت العلم، والحديث، والديانة»، «ذيل مرآة الزمان» (٤/ ١٨٦). وقال أيضًا: «وبيته معروف بالفضيلة والعلم والحديث والرئاسة والتقدم». «ذيل مرآة الزمان» (٣/ ١٧).
وقال كمال الدين الموصلي في «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان» (٣/ ٢٧): «ولأسلافه مكانة عند أهل بلده وجاه طويل».
وقال المرتضى الزبيدي في «تاج العروس»: «والتَّيْمِيَّةُ: . . . والعَلّامة أبو العَبّاس أحمدُ بنُ عبد الحَلِيم الحَنْبَلِيّ المعروفُ بابْنِ تَيْمِيَةَ، وذَوُوه: مُحَدِّثون مَشْهُورُون».

(٢) وهو الشيخ الإمام العالم العلَّامة شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحنبلي الحراني، نزيل دمشق (٦٢٧ - ٦٨٢).
ولد بحران، وسمع من أبيه وحدث عنه، ورحل في صغره إلى حلب، وسمع بها من ابن اللتي، وابن رواحة، ويوسف بن خليل، ويعيش النحوي، وغيرهم، وتفنن في الفضائل وسمع الكثير، وبرع في الفقه، وتميّز في عدة فنون، جيّد المشاركة في العلوم، له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة، ودرّس، وأفتى، وصنّف، وخطب، ووعظ، وفسّر ببلده، وصار شيخَ حران بعد أبيه وخطيبه وحاكمه، ولي هذه الوظائف عقيب موت والده مجد الدين، وعمره خمس وعشرون سنة، ثم انتقل بآله وأصحابه إلى بلاد الشام، أثناء سنة ٦٦٧.
وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه، وليَ مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين، وبها كان سكنه، ثم درس ولده شيخ الإسلام تقي الدين بها بعده في السنة الآتية، قال الذهبي: قرأ المذهب حتى أتقنه على والده، ودرس وأفتى وصنف، وصار شيخ البلد بعد أبيه، وخطيبه وحاكمه، وكان إمامًا محققًا لما ينقله، كثير الفوائد، جيد المشاركة في العلوم، له يد طولى في الفرائض، والحساب =

مولده ونشأته وهجرته

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران[١].

وهو زمن دمّر فيه التتر بغداد وهاجموا الشام منتشرين في أنحائها يقتلون الناس ويسفكون الدماء ويعيثون في الأرض فسادًا، وأهمَّ ذلك أباه فخرج بأهله من حرَّان ليلًا مختفين راكبين مركبًا واحدًا، وحمَّلوه كتبهم، وتبعهم التتر، ولكن الله سلَّمهم، ووصلوا إلى دمشق في صعوبة شديدة، وذلك سنة سبع وستين[٢].

= والهيئة، وكان دينًا متواضعًا، حسن الأخلاق جوادًا، من حسنات العصر، تفقه عليه ولداه: أبو العباس، وأبو محمد، وحدثنا عنه على المنبر ولده، وكان قدومه إلى دمشق بأهله وأقاربه مهاجرًا سنة سبع وستين.

قال: وكان الشيخ شهاب الدين من أنجم الهدى، وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس، يشير إلى أبيه وابنه، فإن فضائله وعلومه انغمرت بين فضائلهما وعلومهما. توفي ليلة الأحد سلخ ذي الحجة ودفن بدمشق من الغد بسفح قاسيون. (انظر ترجمته في: «المقتفي» (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) للبرزالي، و«تاريخ الإسلام» (١٥/ ٤٦٨)، و«العبر» (٣/) للذهبي، و«البداية» (١٣/ ٣٠٣) لابن كثير، و«الوافي» (١٨/ ٤٢) للصفدي).

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٣).

قال ابن رجب: «وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق عند استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين»، وقال ابن عبد الهادي: «وسافر والده به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة، لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به، فنجوا وسلموا». (العقود الدرية ص٤)، وقال الذهبي في «الجزء المفقود من سير أعلام النبلاء»: «وهاجر والده به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار. فسار بالليل بهم وبالكتب على عَجَلَة؛ لعدم الدواب، وكاد العدو أن يلحقهم، ووقفت العجلة؛ فابتهل إلى الله واستغاث به، فنجوا وسلموا».

أخذه للعلم

وكان ابن تيمية آنذاك ابن ست سنين، فأقبل بأمر أبيه على العلم في دمشق، وانتهى من دراسة النحو والعربية ولما يبلغ العاشرة من عمره، وأفتى وله سبع عشرة سنة[١]، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال[٢]، ومات والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ، فدرس بعده بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة[٣].

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شخص، ومما يجدر بالذكر أن من بينهم زينب امرأة فاضلة[٤].

---

(١) قال ابن رجب: «وعني بالحديث، وسمع «المسند» مرات، والكتب الستة، و«معجم الطبراني الكبير»، وما لا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجى، وبرع في ذلك وناظر، وقرأ في العربية أيامًا على سليمان بن عبد القوي، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله ففهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضًا، وأمده الله بكثرة الكَتْب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه. «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٦).

(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٥).

(٤) قال الذهبي في «الجزء المفقود»: «سمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، والمجد ابن عساكر ـ أصحاب الخشوعي ـ، ومن الجمال يحيى بن الصيرفي، وأحمد بن أبي الخير سلامة، أبو القاسم الإربلي، والشيخ شمس الدين عبد الرحمٰن بن أبي عمر، وأبي الغنائم بن علان وخلق كثير.

وسمع «مسند أحمد» مرات، والكتب الكبار، والأجزاء، وعني بالحديث، ونسخ =

تدريسه

فدرَّس بدار الحديث السكرية في أول سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكى، والشيخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المرحل، والشيخ زين الدين المنجا، وجماعة، وذكر درسًا عظيمًا في البسملة، وهو مشهور بين الناس، وعظمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناءً كثيرًا[1].

= جملة صالحة، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، ثم أقبل على الفقه»، وقال ابن رجب: «فسمع الشيخ بها (أي بدمشق) من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وأحمد بن أبي الخير الحداد، والقاسم الإربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلَّم بن علان، وإبراهيم بن الدُّرْجي، وخلق كثير». انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٣).

قلت: ومن شيخات ابن تيمية: زينب بنت مكي الحرانية (ت٦٨٨هـ)، وأم محمد زينب المقدسية (ت٦٨٧هـ)، وأم العرب فاطمة بنت أبي القاسم (ت٦٨٣هـ)، وأم الخير ست العرب (ت٦٨٤هـ)، ترجمت لهن في كتاب (الوفاء في أسماء النساء).

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٥)، وقال الحافظ ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) عن ابن تيمية: «... فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم يُر أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحره العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير». «الرد الوافر» (ص٥٨ ـ ٥٩).

وقال الذهبي في «الجزء المفقود»: «وقرأ أيامًا في العربية على ابن عبد القوي؛ ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو =

قال الذهبي: وكان الشيخ تاج الدين الفزاري، يبالغ في تعظيمه الشيخ تقي الدين، بحيث إنه علَّق بخطه درسه بالسكرية. ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع، لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن. فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقي يفسر في سورة نوح، عدة سنين أيام الجمع(١).

رفضه القضاء

وعرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين وستمائة، وهو دون الثلاثين من عمره(٢).

حجه

وحج سنة إحدى وتسعين(٣). ورجع وقد دانت له البلاد في العلم

= بعد ما بلغ سن بضع عشرة سنة؛ فابتهر الفضلاء من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.

ونشأ في تصون تام وعفاف، وتأله وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل. وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، فيتكلم، ويناظر، ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم؛ فأفتى وله تسع عشرة سنة؛ بل أقل.

وشرع في الجمع والتأليف [من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال.

ومات والده، وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم، فدرَّس بعده وقام بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبَعُدَ صيته في العالم، فطبق ذكره الآفاق، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمَع على كرسي من حفظه، وكان يورد المجالس ولا يتلعثم. وكذا كان يورد الدرس بتؤدة، وصوت جهوري فصيح؛ فيقول في المجلس أزيد من كراسين أو أقل]، ويكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخطٍّ سريعٍ إلى غاية التعليق والاغلاق».

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٥).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٤٩٨).

(٣) وكتب إلي أخونا العالم الصالح أحمد عاشور عن حجه: «في كلام الشيخ (أي ابن تيمية) ذكر حجته، ولم أجد فيه تفصيلها، وقد تبين من كلام أصحابه وعارفيه =

والفضل والكمال[١]. وكثر مخالفوه وعادوه[٢].

تقويته مذهب الحنابلة

كان الخصام بين الأشاعرة والحنابلة من بين سائر الفرق الإسلامية شديدًا، وكان الإمام الرازي قد قوَّى مذهب الأشاعرة بالدلائل تقوية، كأن المذهب الحنبلي انطفأ أمامها، وكان العلَّامة ابن تيمية حنبليًّا، يرى صحة آراء الجنابلة، فوضعها بين الناس بكل قوة وشجاعة.

= أنها كانت في عام ٦٩١ التالي لفتح عكا مع الركب الشامي... فكانت غيبة الركب عن دمشق ثلاثة أشهر ونحو نصف شهر، ولا أعلم للشيخ غيبة عن الشام منذ استوطنها قبل هذه، ولا سفرًا إلا أن قد يكون جال في بعض نواحيها، وبهذا الحدث العظيم كان اختتام هذه المرحلة من حياته... وعدم تكرار الشيخ للحج إما أن يكون لقصور قدرته عن ذلك مع رغبته فيه فيرجى له ثوابه، أو يكون لاقتصاره على حجة الإسلام. (من رسالة الماجستير له، وفقه الله لطباعته).

(١) قال ابن عبد الهادي بعد ما ذكر حجته: «رجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والأناة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع الصدق والأمانة، والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وشدة الخوف منه، ودوام المراقبة له، والتمسك بالأثر، والدعاء إلى الله، وحسن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم» «طبقات علماء الحديث» (٤/ ٢٨٣).

(٢) حتى قال بعضهم: من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كان كافرًا، لا يصح الصلاة وراءه. فرد الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه (الرد الوافر)، قال فيه: وهذا القول الشنيع الذي نرجو من الله العظيم أن يعجل لقائله جزاءه، قد أبان قدر قائله في الفهم، وأفصح عن مبلغه من العلم، وكشف عن محله من الهوى، ووصف كيف اتباع سبيله للهدى، ولا يرد بأكثر من روايته عنه، ونسبته إليه، فكلام الإنسان عنوان عقله، يدل عليه» «الرد الوافر» (ص٥٠)، وقال العلامة الإمام بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي: «والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل، أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به». «الرد الوافر» (ص٥٦).

وَرَدَ إليه سؤال عن ذلك سنة تسعين وستمائة، فكتب جوابه في ساعتين أو ثلاث ساعات جوابًا مفصَّلًا يعرف بـ«الحموية»[١]، أثبت فيه أخطاء الأشاعرة مفصلًا، فقام الناس عليه وعادوه، وجادله الفقهاء، ووافقه القاضي إمام الدين القزويني، وهدد بالتعزير لمن عارض الإمام ابن تيمية وعاداه[٢]، وتفاقم الأمر حتى نادى قاضي الحنفية بمنع ابن تيمية من الإفتاء، فمال إليه بعض الحكام ونصره، وانتهت الفتنة.

الفتن ضده

وثارت الفتنة من جديد سنة خمس وستمائة حتى أمر الملك نائب السلطنة أفرم أن يُستفسر الإمام ابن تيمية على الملأ من العلماء والأعيان، فاجتمع القضاة والعلماء سنة ٧٠٥ في القصر الملكي، وطُلب الشيخ، فحضر ومعه كتابه «العقيدة الواسطية» فقرأه على الناس، وانتهت القراءة في ثلاثة مجالس[٣].

ثم عقد مجلس المناظرة في الثاني من صفر سنة خمس وسبعمائة، وقرروا العلَّامة صفي الدين الهندي يبحث معه، ثم أخروه وقدموا كمال الدين الزملكاني المحدِّث، وسلّم الجميع أن عقيدة العلَّامة ابن تيمية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فجاء الأمر الملكي بعد بضعة أيام برفع التهمة عن الشيخ، وكتب الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أن الشيخ اعترف بأن عقيدته عقيدة

---

(١) قال ابن رجب: وقد كتب «الحموية» في قعدة واحدة. «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٠١)، وقال ابن حجر: وأول ما أنكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى «الحموية» وبحثوا معه ومنع من الكلام». «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الدرر الكامة» (١/ ١٤٥)، وفيه: «ثم حضر مع القاضي إمام الدين القزويني، فانتصر له، وقال هو وأخوه جلال الدين: من قال عن الشيخ تقي الدين شيئًا عزرناه».

(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١١)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٤٥).

الإمام الشافعي[١].

ثم في ثاني عشرى رجب قرأ المزي فصلًا من كتاب «أفعال العباد» للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب، وقالوا: نحن المقصودون بهذا، ورفعوه إلى القاضي الشافعي فأمر بحبسه، وبلغ ذلك ابن تيمية فتوجه إلى الحبس وأخرجه بيده، وبلغ القاضي فطلع إلى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب واشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى أصحابه في غيبة النائب، فأمر النائب من ينادي أن من تكلم في العقائد فعل كذا به، وقصد بذلك تسكين الفتنة[٢].

وثارت الفتنة مرة أخرى بعد أيام، وكان بيبرس الجاشنكير أحد الأمراء يمين الدولة، وكان يفرط في محبة الشيخ نصر المنبجي ويعظمه، وكان نصر من أعظم القائمين على ابن تيمية، وكان وراء قتل بعض أتباع ابن تيمية، فطلب الشيخَ على البريد إلى القاهرة، وعقد له ثاني يوم وصوله ـ وهو ثاني عشري رمضان سنة خمس وسبعمائة ـ مجلس بالقلعة، وادَّعى عليه عند ابن مخلوف قاضي المالكية، وادعى رجل يُسمَّى ابن عدلان على ابن تيمية أنه يقول بأن الله تعالى تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه على العرش بذاته، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية، وقال المدعي: أطلب تعزيره على ذلك التعزير البليغ ـ يشير إلى القتل على مذهب مالك ـ.

فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟، فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أسرع، ما جئت لتخطب، فقال: أأمنع من الثناء على الله تعالى؟ فقال القاضي: أجب فقد حمدت الله تعالى، فسكت ابن تيمية، فقال: أجب، فقال

---

(١) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٥)، وفيه: «ثم انفصل الأمر على أنه شهد على نفسه أنه شافعي المعتقد».

(٢) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

الشيخ: من هو الحاكم في؟ فأشاروا: القاضي هو الحاكم - وكان القاضي أشعريًّا -، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي، كيف تحكم في؟ وغضب، وأقيم الشيخ ومعه أخوه شرف الدين، فابتهل شرف الدين ودعا الله عليهم في حال خروجهم، ومنعه الشيخ، وقال له: بل قل: اللَّهُمَّ هب لهم نورًا يهتدون به إلى الحق[١].

وحبسه القاضي المالكي في برج القلعة، ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه، فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره، فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب (وهو محبس ضيِّق مظلم)، وصدر مرسوم أن من اعتقد اعتقاد ابن تيمية حل دمه وماله، قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع، وأخذ الحنابلة من كل مكان، وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي، وأوذي الحنابلة في القاهرة بأنواع من الأذى ليرتدعوا عن اعتقاد ابن تيمية[٢].

والعجب أن الذي نصر ابن تيمية في هذه الفتنة هو شمس الدين ابن الحريري الحنفي مذهبًا، وكتب في حقه محضرًا بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطرًا من جملتها أنه منذ ثلاثمائة سنة ما رأى الناس مثله، فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فعزل[٣].

وتعصب سلار وهو يمين السلطان الناصر لابن تيمية وأحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في إخراجه، فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطًا وأن يرجع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه مرات

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١١ - ٥١٢)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٤٧).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٢ - ٥١٣).

(٣) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٧).

فامتنع من الحضور إليهم واستمر، وفضل الحبس على الامتناع من التعبير عن فكره بحرية[١].

وقد مر بنا كتابة للعلامة ابن تيمية فيها تفاصيل لأحداث ذلك الوقت، وهي «المناظرة المصرية»، ذكر في مقدمتها أنه سئل في مصر سنة ٧٠٩هـ أن يرجع عن بعض عقائده، فألف هذه الرسالة ردًّا على ذلك الطلب[٢].

نادرة

لما كان العلَّامة ابن تيمية محبوسًا في مصر في قلعتها رأى أميرٌ شخصًا في شكل ابن تيمية، فسأله: من أنت؟ فقال له ذلك الشخص: أنا ابن تيمية؛ فلم يشك ذلك الأمير أنه ابن تيمية، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولًا وكان ابن تيمية في الحبس، فاستعظموا ذلك. ذكر ابن تيمية هذه القصة في موضع من «رسالة الفرقان» ضمنًا، وذهب إلى أن ذلك الشخص كان جنيًّا[٣].

---

(١) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٨).

(٢) نقل شبلي شيئًا من تلك الرسالة، فلخصته لأني لم أقف عليها.

(٣) يقول ابن تيمية: وتارة يأتون ـ أي: الجن ـ إلى من هو خال في البرية وقد يكون ملكًا أو أميرًا كبيرًا أو يكون كافرًا وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام ويتوبه ويطعمه ويدله الطريق، ويقول: من أنت؟ فيقول أنا فلان ويكون من مؤمني الجن. كما جرى مثل هذا لي، كنت في مصر في قلعتها وجرى مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق، قال له ذلك الشخص: أنا ابن تيمية؛ فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولًا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك، وأنا لم اخرج من الحبس، ولكن كان هذا جنيًا (يحبنا) فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤو الى دمشق: كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم ما كنت أعمل وأراد بذلك إكرامي ليظن ذلك أني أنا الذي فعلت ذلك. «الفرقان بين الحق والباطل» (ص٧٩).

والحق أن عظمة ابن تيمية وجلالة شأنه خلقت في قلب ذلك الأمير شكلًا خياليًّا ظهر له في جسم. وما ظن ابن تيمية إياه جنِّيًّا إلا توهُّمًا منه؛ إني لا أنكر وجود الجن، ولكن الجن لا يزورون الإنس متشكِّلين بأشكال إنسية.

بقاؤه في السجن

وبقي في السجن عامًا ونصف عام، ومعه أخوه، وكان المحبوسون يجرى عليهم الطعام واللباس من قبل السلطان، وذكر الشيخ أنه لا يقبل شيئًا من الكسوة السلطانية ولا من الأدرار السلطانية، وعاش في فقر وضيق[١].

وشفع فيه مهنا (أمير آل فضل) فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه وأحضر إلى القلعة، وعقد عدة مجالس جمع فيها القضاة والفقهاء، وتحدث فيها العلَّامة ابن تيمية عن المسائل التي نازعوه فيها[٢].

وذكر صاحب الطبقات نقلًا عن العلامة الذهبي أن ابن تيمية وافق أعداءه في مسائل خوفًا من القتل[٣]، لكن نص صاحب الوفيات وهو من أصحاب ابن تيمية على أنه قهر خصومه بقوة حججه[٤].

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٣).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٣ ـ ٥١٤)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٤٨).

(٣) قال ابن رجب: «وذكر الذهبي والبرزالي وغيرهما أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملًا من القول وألفاظًا فيها بعض ما فيها لما خاف وهدد بالقتل». «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٤).

(٤) لعله أراد به ما كتبه الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧/ ١٤): «وكان إذا تكلم أغمض عينيه، وازدحمت العبارة على لسانه فرأيت العجب العجيب، والحبر الذي ما له مشاكل في فنونه ولا ضريب، والعالم الذي أخذ من كل شيء بنصيب، سهمه للأغراض مصيب، والمناظر الذي إذا جال في حومة الجدال رمي الخصوم من مباحثه باليوم العصيب».

وقال ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) عن ابن تيمية: «... فلقد اجتمع عليه =

خرج ابن تيمية من السجن وأقبل على التدريس وحصل له أمن لأيام.

جهاده

قد بعدنا عن صلة حديثنا وفاتتنا أهم الأحداث التي خاض فيها الإمام ابن تيمية سياسة بلاده، فلم يكن يرى كعامة العلماء فرائضه مقصورة على الصلاة والصيام، بل كان يرى أنه من مسؤوليات العلماء أن يقوموا بمهمات السياسة[1].

هاجم غازان خان بن هلاكو خان بلاد الشام سنة ٦٧٨ وابن تيمية دون العشرين من عمره، فخرج السلطان الناصر ملك مصر لحربه، ولكنه انهزم بعد قتال شديد، وتقدم غازان خان واستولى على حمص، وبلغ ذلك أهل دمشق فاضطربوا اضطرابًا شديدًا، ونهبت أموال الناس، ولما رأى ابن تيمية ذلك قصد غازان خان ودخل عليه وأخذ منه مرسوم الأمان، فسكن عامة الناس، ولكن العسكر نهب المدينة، فقام ابن تيمية مع شيخ الشيوخ نظام الدين محمود، ودبر أمر المدينة، وأقام الأمن، وقابل غازان، ثم تقدمت التتر نحو

= عصب الفقهاء والقضاة بمصر والشام، وحشدوا عليه بخيلهم ورجلهم، فقطع الجميع وألزمهم بالحجج الواضحات؛ أي: إلزام». «الرد الوافر» (ص١٤٩).
وقال الذهبي في «الجزء المفقود»: «قرأت بخط شيخنا العلامة كمال الدين علم الشافعية في حق ابن تيمية: كان إذا سئل عن فنٍّ من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم بأن لا يعرفه أحد مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه في مذاهبهم أشياء. قال: ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علمٍ من العلوم؛ سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين، إليه».

(١) يقول الذهبي في «الجزء المفقود»: «وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان والتقى أعباء الأمر بنفسه، [وقام وقعد، وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وبخطلو شاه، وببولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول. وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب».

بيت المقدس وغيرها من المدن وأسروا ألوفا من المسلمين، فذهب ابن تيمية إلى أمير عسكر غازان وأطلق الكثيرين.

واستعد غازان خان سنة ٦٩٩ لغزو الشام استعدادًا كبيرًا، وتقدم أميراه قتلو شاه وتولاي بجيشيهما، فلما بلغ ذلك ابن تيمية دخل عليهما وحدثهما في الأمر ومنعهما من الغزو، وتجهز ابن تيمية نفسه للجهاد وأعد له العدة، فسكنت الفتنة، ولكن التتر توجهوا بعد عام مرة أخرى وانتشرت جنودهم في كل مكان، فوصل ابن تيمية إلى مصر على خيل البريد، ولقي أعيان السلطنة ودعاهم إلى القتال، وزاره أهل مصر وفيهم العلامة ابن دقيق العيد إمام المحدثين وقاضي القضاة، فحرض ابن تيمية أهل مصر على الجهاد، ورجع إلى دمشق، وتجهز نفسه للقتال[1].

وتوجه التتر سنة ٧٠٢ في أهبة كبيرة نحو الشام، وتقدم قتلو شاه وجويان الأميران مع تسعين ألف جندي، وكانت بلاد الشام بيد السلطان الناصر، فلما بلغه ذلك فزع، وفزع أركان الدولة، فسافر الشيخ على البريد إلى الديار المصرية يستنفر السلطان، وتلا عليهم آيات الجهاد، وقال: إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله والذب عنهم، فإن الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم. وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ

(١) يقول ابن عبد الهادي: «ما فعله الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير، من إنفاق الأموال وإطعام الطعام ودفن الموتى وغير ذلك، معروف مشهور، ثم بعد ذلك بعام سنة سبعمائة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد، وبقي الخلق في شدة عظيمة، وغلب على ظنهم أن عسكر مصر قد تخلوا عن الشام ركب الشيخ وساق على البريد إلى الجيش المصري في سبعة أيام، ودخل القاهرة في اليوم الثامن يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى وأطلاب المصريين داخله، وقد دخل السلطان الملك الناصر، فاجتمع بأركان الدولة، واستصرخ بهم وحضهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقوا وقويت هممهم» «العقود الدرية» (ص١١٠).

قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد - وكان هو القاضي حينئذ - فاستحسن ذلك، وأعجبه هذا الاستنباط وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام[١].

ونجح ابن تيمية في سفارته هذه، وتقدم السلطان الناصر نحو الشام، والتقى الجيشان في مرج الصفر - وتسمى شقحب -، واشتد القتال، وهزم التتر وهلكوا، وقاتل ابن تيمية قتال جندي شجاع[٢].

وكانت مشافهات ابن تيمية لغازان خان وأمرائه عجيبة ودالة على جرأته ورباطة جأشه، ومنها أنه لما قصدَ الأميرَ قطلو خان للتظلم لشخص قال له قطلوخان مستهزئًا به: ما لك تكلفت المجيء إلينا، لو أرسلت إلي لجئتك، فقال ابن تيمية: كان موسى يقصد فرعون، ولم يقصد فرعون موسى[٣].

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٠).

(٢) قال ابن عبد الهادي: «وفي أول شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة شقحب المشهورة، حصل للناس شدة عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه، وعظيم جهاده وقوة إيمانه، وفرط نصحه للإسلام، وفرط شجاعته ونهاية كرمه، وغير ذلك من صفاته ما يفوق النعت ويتجاوز الوصف» «العقود الدرية» (ص١٤٤).

(٣) انظر: «الوافي بالوفيات» (٧/ ١٢)، وفيه: «وحكي لي أنه كان قد شكا إليه إنسان أو جماعة من قطلوبك الكبير، وكان المذكور فيه جبروت على أخذ أموال الناس واغتصابها، وحكاياته في ذلك مشهورة، فقام يمشي إليه، فلما دخل إليه وتكلم معه في ذلك قال له قطلوبك: أنا الذي أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد - يعرِّض بقولهم: إذا كان الأمير بباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير -، فقال له: قطلوبك، لا تعمل علي دركواناتك (أي: مخادعاتك)، موسى كان خيرًا مني، وفرعون كان شرًّا منك، وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات في كل يوم، ويعرض عليه الإيمان، أو كما قيل».

حبس ابن تيمية

وبالغ ابن تيمية في كتبه في الحط على ابن العربي وتكفيره لقوله بوحدة الوجود، فشكاه الصوفية إلى قاضي الشافعية، فعقد مجلس للنظر في ذلك، وثبت كذب التهم ضده. وأصر الشيخ على أن لا يستغاث بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، فاختلف الناس، وقال بعضهم: وأي بأس في ذلك؟ ورأى الحاكم ابن جماعة أن هذا إساءة أدب، وعنفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلت له ما يقال لمثله[١].

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء، وهي الإقامة بدمشق، أو بالإسكندرية، بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس، فدخل عليه في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرط عليه، فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثم ردوه في الغد، وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: لا ترضى الدولة إلا بالحبس، فقال القاضي: وفيه مصلحة له، واستناب التونسي المالكي، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير، فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوي المذكور: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمّى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي، واحترموه في الحبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه، واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى، ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس، وكان أصحابه يدخلون عليه أولًا سرًّا، ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه[٢].

ثم أخرجوه في سلطنة الجاشنكير الملقب بالمظفر إلى الإسكندرية

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٥)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

على البريد، وحبس فيها في برج حسن مضيء متسع، يدخل عليه من شاء، ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن، وأهلك المظفر بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرمًا في شوال سنة تسع وسبعمائة، وأكرمه السلطان إكرامًا زائدًا، وقام إليه[١].

وتلقاه السلطان في مجلس حفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء وأعيان الدولة، وزاد في إكرامه عليهم، وبقي يسارُّه ويستشيره سويعة، وأثنى عليه بحضورهم ثناءً كثيرًا، وشاوره في أمر هم به في حق القضاة فصرفه عن ذلك وأثنى عليهم.

وإن ابن مخلوف كان يقول: ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا في دمه، فلما قدر علينا عفا عنَّا[٢].

واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر.

وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند، وطائفة من الفقهاء، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع، ولكن ظهر بغض بعضهم له، ومنهم الفقيه البكري الذي استفرد بالشيخ يومًا ووثب عليه، ونتش بأطواقه، وقال: احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى، واتفق بعد مدة أن البكري هم السلطان بقتله، ثم رسم بقطع لسانه لكثرة فضوله وجراءته، ثم شفع فيه، فمنع من الفتوى[٣].

قدم السلطان سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لكشف التتر عن الشام فخرج الشيخ مع الجيش ناويا الجهاد، وفارقهم من عسقلان، وزار البيت المقدس،

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٦).
(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٦ ـ ٥١٧).
(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٧).

ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين، ومعه أخوه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسر الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولًا من إقراء العلم وتدريسه وإفتاء الناس ونفعهم[١].

ثم في سنة ثمان عشرة ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، وعقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك، ونودي له في البلد[٢].

ثم في سنة تسع عشرة عقد له مجلس أيضًا كالمجلس الأول، وقرئ كتاب السلطان بمنعه من ذلك، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع، ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة، ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى، ومنع بسببه من الفتيا مطلقًا، فأقام مدة يفتي بلسانه، ويقول: لا يسعني كتم العلم[٣].

حبسه الأخير

ثم أطلق بعد شهور، وأقبل على التدريس، ولكن الفتن ضده لم تخمد، وبدأت تثور مرة بعد أخرى، كان قد أفتى قبل عشرين سنة بمنع شد الرحال إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ، فاستثاروا تلك الفتوى، وأضرموا نارًا ضده في دمشق، فأفتى طائفة من العلماء بكفره، وهم ثمانية عشر نفسًا، رأسهم القاضي الإخنائي المالكي، وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق في شعبان سنة ٧٢٦، ورافقه أخوه شرف الدين في الحبس، ومات شرف الدين في الحبس في ١٤ جمادى الآخرة، وصلي عليه خارج القلعة، ولم يؤذن للشيخ بحضور الجنازة، فصلى عليه من داخل القلعة، وكان صوت التكبير يبلغه في القلعة، فأدى الصلاة بأركانها، ولكن الناس رقوا له أن لم

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٧ ـ ٥١٨).
(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٨).
(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٨).

يشهد جنازة أخيه، وبكوا كثيرًا[١].

واحترموه في الحبس وأنزلوه مكانًا يليق بمثله، وأعطوه خادمًا وفيًّا، وبقي في القلعة يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، وقال: «قد فتح الله علي في هذا الحصن من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»[٢].

وكتب رسائل مفصلة عن مسألة الزيارة التي حبس من أجلها، وانتشرت تلك الرسائل، فمنع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، وآخر ما كتبه: «هذا هو العقاب الحقيقي الذي عوقبت به»، كتب ذلك بالفحم[٣].

وفاته

وأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر، ومرض، ودام مرضه بضعة وعشرين يومًا، وتوفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وغابت شمس العلم من أفق الدنيا وأظلم العالم كله[٤].

ويصدق عليه قول الشاعر الفارسي: «فارقتُ، وغشي العالمَ ظلامٌ بفراقي، وما أنا إلا كالشمعة، فارقتُ فاضطرب المجلس اضطرابا».

عاداه الناس في حياته، فلما توفي وبلغ الناس نعيه غشي البلد

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٨).

(٢) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٨ ـ ٥١٩).

(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٩).

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة وفاته: «ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، في ذي القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه.

الزحام، وصرخ صارخ: (هكذا تكون جنائز أئمة أهل السُّنَّة)[١]، فبكى الناس عند ذلك بكاءًا كثيرًا، وصلى عليه أخوه زين الدين، ودفن إلى جانب أخيه شرف الدين بمقابر الصوفية[٢].

---

(١) ويقول البرزالي: «ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ توفي ببلدة دمشق، وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعا لو جمعه سلطان قاهر، وديوان حاصر، لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته والنتهوا إليها، هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا نت جهة السلطان» «الرد الوافر» (ص٢٢١).

(٢) اعتمد شبلي في هذه التفاصيل على ابن رجب، انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧).

ويقول ابن كثير: «ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي والخلائق فيه، وبين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها، ما لا يحصي عدتهم إلا الله تعالى، فصاح صائح: (هكذا تكون جنائز أهل السُّنَّة)، فتباكى الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة؛ يعني: داخل الجامع وخارجه، إلى الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلق الصيام؛ لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لأكل ولا شرب، وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة بخلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب، لغيبة الخطيب بمصر، فصلى عليه إمامًا، وهو الشيخ علاء الدين الخراط.

ثم خرج الناس من كل مكان، من سائر أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع، إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل في مخافته كل واحد في نفسه، وفي ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويجعون ويقلن: هذا العالم. وبالجملة كان يومًا مشهودًا، لم يعهد مثله، . . . ولا يمكن أحدًا حصر من حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الضعفاء والمخدرات».

لم يكن آنذاك قطار ولا طائرة، ولكن نبأ وفاته انتشر في العالم الإسلامي كله انتشارًا سريعًا، وصلى الناس عليه صلاة الغائب، وأخبر الرحالون أن الناس صلوا عليه في الصين، ونادى المنادون: «الصلاة على ترجمان القرآن»[١].

---

(١) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٢٨).

قلت: وألحِق بهذه المناسبة مقالًا لي تحت عنوان: «**فتن ولا ابن تيمية لهن**».

«مضت أكثر من سبعة قرون على وفاة الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى ولم يولد في العالم العربي والإسلامي ابن تيمية آخر، أأصاب حران عقم؟ لا، فنساؤها منجبات، أم تلاهت الأمهات عن رعاية أولادهن؟ لا، هن راعيات مربِّيات، أم أغلقت مدارس دمشق وجوامعها؟ لا، هي مفتوحة على مصاريعها، أم أجدبت أراضي العرب؟ لا، بل هي طيبات مخصبات، أم عقرت ربات بيوت العجم؟ لا، بل هن والدات، أم أمحلت منابت فارس والهند وأفغانستان؟ لا، بل هي ملقِّحات منتجات، فما أعياهن أن يتمخضن عن ابن تيمية آخر منشئات له إنشاء؟

طعن الناس في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وسخروا من الدين أصوله وفروعه، وشرائعه ومناهجه، واستهزؤوا بالإيمان والإسلام إجمالًا وتفصيلًا، واستخفُّوا بشأن الأنبياء والمرسلين أئمة الهدى المصطفين الأخيار، وقذفوا في أعراض الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم وهتكوا أستارهم، واستحلوا حرمات شعائر ملة الخليل وسائر معالم الطريق.

ووقعوا في أصح الكتب بعد كتاب الله، وحملوا الإمام البخاري مسؤولية تخلف المسلمين، وقدحوا في مصادر الحديث أسانيدها ومتونها، وأثاروا حولها شكوكا وشبهات راجت لدى ضعاف الإيمان ونالت عندهم القبول.

وانتشرت البدع والمحدثات، وتولدت منهن بدع غريبات ومحدثات مضحكات، وحاكى أبناء الإسلام ضلالات الشعوب والأمم، ومزجوا بين الصافي والكدر، وخلطوا بين الحق والباطل، وأصلحوا بين الصدق والكذب، ولفقوا بين الظلمات والنور.

واشتد عضد التفرق والتشرذم، فصار الناس يتفاخرون بانتماءاتهم الطائفية دون ولاء =

= للإسلام، يتجادلون على أسماء سموها بل ويتقاتلون عليها، وقد تسرب النفاق والدجل والإلحاد إلى قلوبهم، وتغلغل التحاسد والتباغض والتحاقد في أحشائهم، وتوغل التشاحن والتلاحي والتعادي في نفوسهم.

وتعززت المذاهب الكلامية والعقدية والصوفية، ورفعت الأهواء والفلسفات الباطلة رؤوسها، وقضي على الاجتهاد وشاع التقليد، فلا نظر ولا تفكر، ولا إعمال رأي ولا تدبر.

نعايش الفتن التي شهدها العالم الإسلامي في نهاية القرن السابع، بل وقد تفاقمت شراسة، وضعف أهل الإسلام ووهنوا، ولا يهم علماءه إلا فرقهم التي ينتمون إليها ومذاهبهم التي يتباهون بها، وحرموا الفكر والنظر، فيستوردون بل ويسترقون من أعدائهم فلسفاتهم وأفكارهم وآراءهم في العقائد والاجتماع والاقتصاد والسياسة، لا يرجعون إلى كتاب الله وسُنَّة ورسوله، ولو رجعوا إليهما لوجدوا فيهما حلولًا لمشاكلهم، ومعالجات لمعضلاتهم، وطبًّا لأدوائهم وأمراضهم، وشفاء لما في الصدور.

فأين ابن تيمية؟ أين الذي سمع وأسمع، ودرَّس وأفاد، وأفتى وأجاب، وكتب وأجاد، وخطب وجاهد؟ أين الذي ألِفته المدارس والجوامع، وصادقته المحاريب والمنابر، وأنِسته المحابس والسجون، وعرفته ساحات الوغى والحروب؟ أين صاحب التفسير، وكتاب الإيمان، وكتاب الاستقامة، والمقدمة في أصول التفسير، ومنهاج السُّنَّة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، والرد على المنطقيين، وكتاب تلبيس الجهمية، والعقيدة الواسطية، والصارم المسلول، واقتضاء الصراط المستقيم، والسياسة الشرعية، والفتاوى الكبرى؟

أيا ابن تيمية! لقد رضي المسلمون عربًا وعجمًا بوضعهم المشين، وانحطوا إلى حضيض التقليد وأخلدوا إليه، وقنعوا بالذل والهوان، وفقدوا غيرتهم وحميتهم، وخفتت أصواتهم، وتبلدت عقولهم وأفكارهم.

يا رب ابن تيمية! ارحمنا، وابعث فينا من جديد ذلك العلم الشامل العميق، ذلك الحذق في القرآن وتفاسيره، وتلك الإمامة في الحديث وعلومه، وذاك التقدم في الفقه أصوله وفروعه، وتلك البصيرة النافذة في أمور البدع والمحدثات =

= وما ينتمي إليها من فرق وطوائف، وذلك التحكم في الكلام ومذاهبه، وذلك الاضطلاع الوافي من الفلسفات والفنون العقلية النظرية، وأحي فينا ذلك الفهم الراسخ القويم، والعقل الثائر الحصيف، والفكر المدبر الحكيم، والورع التام العجيب، يا ربنا! عقمت الشام والعراق ومصر وسائر بلاد العرب، وأجدبت خراسان وما وراء النهر والهند، ولكن خزائنك لا تنفد، وبركاتك لا تنقطع، وخيراتك لا تعدم، فارحمنا يا أرحم الراحمين! وأنعم علينا يا أكرم الأكرمين ويا ذا الفضل المبين والإحسان العميم!

قيد القراءة والسماع في المسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المجتبى:

أما بعد:

قرأ علي الشيخ المفضال محمد أحمد آل رحاب «**رسالة شبلي النعماني**» بعناية وترجمة الدكتور محمد أكرم الندوي، وسمع أطرافًا منها: الشيخ العالم نظام يعقوبي والشيخ عبد الله بن أحمد التوم وغيرهما.

رواق المسجد الحرام

تجاه الكعبة المشرفة

عصر ٢٠ رمضان ١٤٤٠هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
ترجمة شبلي	٥
الإمام ابن تيمية وعلماء الهند	٨
موقف شبلي من ابن تيمية	١٥
تأثير شبلي في السيد سليمان الندوي	١٧
الإمام أبو الحسن علي الندوي واهتمامه بابن تيمية	١٨
تلخيص تأثير ابن تيمية في الهند	١٩
الإمام ابن تيمية الحراني مجددا لقرنه	٢٥
صفات المجدد الأساسية	٢٧
المستحق لوصف المجدد في كامل معناه	٢٨
اسمه ونسبه	٢٩
سبب نسبته إلى تيمية	٢٩
بيته	٣٠
مولده ونشأته وهجرته	٣١
أخذه للعلم	٣٢
تدريسه	٣٣
رفضه القضاء	٣٤
حجه	٣٤

الموضوع	الصفحة
تقويته مذهب الحنابلة	٣٥
الفتن ضده	٣٦
نادرة	٣٩
بقاؤه في السجن	٤٠
جهاده	٤١
حبس ابن تيمية	٤٤
حبسه الأخير	٤٦
وفاته	٤٧
قيد القراءة والسماع في المسجد الحرام	٥٤
الفهرس	٥٥